حرب المعجنات: صفحة من تاريخ العلاقات الفرنسية-المكسيكية ١٨٣٨-١٨٣٩

د. سعاد رؤوف شير محمد
قسم التاريخ /كلية التربية/الجامعة المستنصرية

المقدمة:

أشارت معظم الدراسات، العربية منها والأجنبية، التي بحثت في تاريخ أوربا إلى موضوع العلاقات الفرنسية المكسيكية في القرن التاسع عشر بقدر تعلقها، أو ارتباطها بحملة نابليون الثالث، والتي وضعت الارشيدوق النمساوي فرديناد مكسمليان على عرش المكسيك في ستينيات القرن المذكور، ولم ترد فيها إشارة إلى الحملة الفرنسية الأولى على المكسيك في ثلاثينيات القرن ذاته، والتي اطلق عليها المكسيكيون تهكماً "حرب المعجنات"، ولهذا السبب وقع اختيارنا على هذا الموضوع لتسليط الضوء على الصدام الأول بين فرنسا والمكسيك ١٨٣٨-١٨٣٩.

حاولت هذه الدراسة الإجابة على بعض التساؤلات: هل كانت الدوافع الاقتصادية وحدها، وكما زعم المكسيكيون، التي دفعت حكومة لويس فيليب لتوجيه قواتها العسكرية عبر الأطلسي إلى المكسيك للحصول على المطالب المالية من الحكومة المكسيكية لتعويض رعاياها الفرنسيين في المكسيك لقاء الاضرار التي لحقت بهم من الاضطرابات المدنية في المكسيك؟ أم كانت الدوافع والمصالح السياسية حاضرة بدورها في الحملة الفرنسية على المكسيك ؟ وما هو دور المستعمرة الفرنسية في المكسيك في الحملة الفرنسية على المكسيك؟ وما هي مشاكلهم ومظالمهم؟ وما هي المهن التي زاولها؟ وهل كان لعامل وأفكار العرق دوراً في الحملة الفرنسية على المكسيك؟ وهل حقق الفرنسيون هدفهم في حماية رعاياهم ، وتعزيز مصالحهم التجارية في المكسيك؟ وما هي نتائج الحملة؟.

المبحث الأول: دوافع الخلاف:

أولاً: المستعمرة الفرنسية في المكسيك:

مرت المكسيك بفترة عدم استقرار منذ حصولها على الاستقلال من إسبانيا عام ١٨٢١[١]، إذ اصبحت مسرحاً لانقسامات طبقية حادة جدا، وتصادمت مجموعات عدة للوصول إلى السلطة، أما من أجزاب ليبرالية، أو أحزاب دينية، أو قادة عسكريين من خلال تحريك القوات المسلحة، وليس ادل على هذه الحالة التي وصلت اليها المكسيك، أن نذكر أن البلاد تتابع على حكمها (٢٠) رئيساً في غضون (٢٠) عاماً، وكانت هناك ما يقارب أربعين ثورة وأكثر من (٧٠) مجلساً تنفيذياً متفاوتاً على مستوى عالي.وفي غضون ذلك ضربت الفوضى الداخلية أطنابها في جميع مفاصل الحياة، فالحكومة فقدت هيبتها، وغذت مجرد اسم، وكانت الاغتيالات وجرائم القتل المتعمد متكررة في العاصمة –مكسيكو- وشاعت حرب العصابات[حرب الشوارع] في المقاطعات، فيما امتلأت الطرق الخارجية بعصابات قطاع الطرق[٢].

وفي اتون أعمال العنف والانقلابات المستمرة من أجل الوصول إلى السلطة، عانى السكان المدنيين المكسيكيين من هذه الصراعات، وكذلك عانى منها الاجانب المقيمين في المكسيك[٣]، إذ ادى القتال في الشوارع إلى تدمير مقداراً كبيراً للممتلكات الشخصية للسكان، ومما زاد الحالة سوءً ان المواطن المتوسط الحال لم يكن لديه وسيلة للحصول على تعويضات عن الخسائر التي تكبدها، والحال ذاته بالنسبة للأجانب الذين تضررت، أو دمرت ممتلكاتهم من لدن عصابات قطاع الطرق[٤]، أو مواطنيين مكسيكيين خلال أعمال الشغب والعنف، التي يطلق عليها أعمال الشغب البارية[٥]"Parian riots" عام ١٨٢٨[٦]. ولم يكن لهؤلاء الأجانب قناصل، ولا ممثلين ليكلموا بالنيابة عنهم، لذلك كانوا بدورهم غير قادرين للحصول على تعويض من الحكومة عن الاضرار التي لحقت بهم، و لذلك اخذوا يناشدون حكوماتهم للحصول على مساعدتها[٧].

إزاء تلك الأوضاع غير الطبيعية في المكسيك، لم يكن امام الحكومات الأجنبية أن يتجاهلوا النداءات المتكررة لمواطنيها في الخارج، وتأسيساً على ذلك قامت الحكومات المذكورة بتقديم مطالب بالنيابة عن مواطنيها في المكسيك، ومن بين المطالب الفرنسية الهائلة الكم، تعويض عدد من المحلات الفرنسية عن الأضرار ، أو الدمار الذي لحقت بممتلكاتهم خلال فترة الاضطرابات السياسية، ومنها مخبز للمعجنات كان يمتلكها مواطن فرنسي يدعى ريمونتيل (Remontel) طباخ معجنات شهير، طباخ الرئاسة، عاش في تاكوبايا[٨] (Tacubaya)، ادعى بان محل معجناته الصغيرة قد تعرضت إلى دمار بسبب أعمال السلب والنهب الذي قام بها ضباط وجنود مكسيكيون في الرابع من كانون الأول عام ١٨٢٨، وأنه لعدم تسديد الحكومة الفنرسية طلب تعويضه فترة طويلة،

ناشد الملك الفرنسي لويس فيليب[٩] (Philip Louis) (١٧٧٣-١٨٥٠) (١٨٣٠-١٨٤٨) لمظلمته وأن الأخير استجاب لشكوى مواطنه، وطلب من الحكومة المكسيكية دفع مبلغ (٦٠٠) الف بيسو[١٠] كتعويض عن الاضرار التي لحقت بعدد من المحلات الفرنسية في المكسيك، ومنها مخبر المعجنات لـ(ريمونتيل)[١١].

لم تكن الحكومة المكسيكية برئاسة الجنرال اناستاسيو بوستامانتي[١٢] (Anastassio Bustamante) في وضع مادي يسمح له دفع مثل هذا المبلغ الضخم الذي طالبت به فرنسا، فضلاً عن ذلك فان المكسيك كان بذمتها ديون لفرنسا قيمتها تقريباً مليون دولار استمرت لفترة طويلة دون تسديد، كما ن حكومة بوستامانتي لم تعتقد ان هذه المطالبة الفرنسية لها مبرر مقارنة مع الاجرة اليومية لعامل متوسط الحال، وهي تقريباً بيسو واحد[١٣].

وهكذا وجدت الحكومة المكسيكية نفسها متورطة في صراع دولي غير متوقع بعد رفضها دفع المبلغ المطلوب، مما دفع فرنسا إلى حصار الموانئ الأساسية في تامبيكو[١٤] (Tampico)، وفيراكوز[١٥] (Veracruz) لفترة أكثر من سنة. ومع تصاعد اصرار الحكومة المكسيكية في رفض الدفع، تصاعد الحصار الفرنسي وتحول إلى حرب بلغت ذروتها في قصف وغزو فيراكوز في السابع والعشرون من تشرين الثاني عام ١٨٣٨[١٦].

من هنا فان الصحفيين المكسيكيين البارعين في أسلوب السخرية أطلقوا على الحملة الفنرسية حرب المعجنات[١٧] (Pastry War). وهذا العمل العسكري الكبيرتم التقليل من شانها ودوافعها، والتي زعموا ان فرنسا اقدمت على هذا العمل الحربي لا لشيء إلا للدفاع عن حق صانع معجنات تم نهب محله من قبل الجنود المكسيكيين والمطالبة بمبلغ ضخم لأجله[١٨]، ومما كان يؤشر الجشع الفرنسي ، والفعل المثير للضحك والسخرية[١٩]، حسب إدعاء المكسيكيين، وهكذا تحول موضوع مظالم الرعايا الفرنسيين في المكسيك إلى السبب المباشر لتنظيم الحملة التي دخلت التاريخ باسم "حرب المعجنات".

وهذا التفسير المكسيكي الذي وجد طريقه إلى كتب التاريخ يضم جزءً من الحقيقة، فالفرنسيون طالبوا فعلاً المكسيك بدفع المال لتعويض رعايا فرنسا في المكسيك، ومع ذلك فانه تفسير غير كاف لبيان السبب الذي جعل حكومة لويس فيليب، وبعد سنوات لعدم الاكتراث لمصالحها في المكسيك تقوم بشن حملة عبر الأطلسي تكاليفها يضاهي بكثير المبالغ التي طالبت به فرنسا للحكومة المكسيكية[٢٠]. ان جزء من الجواب يظهر عند البحث عنه في المستعمرة الفرنسية في المكسيك التي ظهرت فيها مظالم، وعلى حسب إدعاء الحكومة الفرنسية، والتي من أجله طالبت الأخيرة الحكومة المكسيكية تعويض رعاياها المذكورين.

نمت المستعمرة الفرنسية نموا سريعا خلال عقد الثلاثينات من القرن التاسع عشر، فانه بتقدير احد المعاصرين فان عدد سكان المستعمرة الفرنسية في وقت الهجوم الفرنسي تراوحت بين ٤-٦ آلاف نسمة من رعايا فرنسا، مما كانوا يشكلون أكبر مجموعة اجنبية في المكسيك عام ١٨٣٨ مقارنة مع المجموعات الأخرى، باستثناء الاسبان الذين كانوا يشكلون حالة خاصة في المكسيك، ومن هنا، وبسبب وجود جالية فرنسية كبيرة العدد في المكسيك فان موقفها تجاه الحكومة المكسيكية كان يختلف عن موقف اية مجموعة أوربية اخرى، وهذا التفوق العددي يفسر في الوقت نفسه تكرار إدعاءات الرعايا الفرنسيين وشكاويهم أكثر من غيرهم[٢١].

ومما زاد في استياء الجالية الفرنسية، وخنقها على المكسيكيين، هو شعورهم بعدم تعامل المسؤولين المكسيكيين بمصداقية وعدالة مع مطالبهم المتكررة للحصول على تعويضات مقابل خسائرهم، فمن أجل التملص من هذه المطالب، فان المسؤولين المكسيكيين كانوا يسيئون إلى سمعة المهن التي يمارسها الفرنسيين، فعلى سبيل المثال كانوا يكتبون على اسماء رعايا فرنسا ما نصه :"**رجال أعمال مفلسون، مهربين للسلع الممنوعة ، وأن جميعهم أناس سمعتهم سيئة، وجاءوا إلى المكسيك من اجل الحصول على ثروات بصورة غير شرعية**"[٢٢].

تأسيساً على ما تقدم تعرض رعايا فرنسا في المكسيك اسوة بغيرها من رعايا الاجانب في ظل الفوضى السياسية التي عصفت بالبلاد وتحديدا في الفترة ١٨٢٨-١٨٣٨، إلى انتهاكات عدة تراوحت بين جرائم القتل، ومصادرة الممتلكات، القروض الاجبارية، حالات القاء القبض بصورة عشوائية، واساءات اخرى[٢٦]، منها أعمال السلب والنهب الذي اشرنا اليها آنفاً[٢٣].

إذن تصاعدت مظالم المستعمرة الفرنسية بوتائر سريعة خلال عقد الثلاثينيات من القرن التاسع عشر، ففي الوقت الذي قدم ديفوديه في اواخر عام ١٨٣٣ مجموعة متواضعة من الشكاوى بالنيابة عن ابناء جلدته[اي الفرنسيين] تعززت الشكاوى خلال السنوات التالية، إذ غدت رسائله في عام ١٨٣٧ قائمة مستمرة تضم أنواع من"الانتهاكات"، و"الاعمال الوحشية"ضد الفرنسيين[٢٤]، حسب إدعائه مما يبدو ان تكرار هذه الحوادث بحد ذاته في تقاريره يمكن على الأقل ان يكون جزئياً انعكاس لسياسته الجديدة الهادفة إلى استغلال اية حادثة لتكون شكوى يوجهها إلى حكومة المكسيك، وهذا مما دفع بعض المتخصصين الفرنسيين، والمتابعين للعلاقات الفرنسية المكسيكية إلى التشكك في موضوعية ودقة الوزير المفوض الفرنسي في المكسيك[٢٥].

ومهما يكن من أمر، لم تكن شكاوى ومظالم المستعمرة الفرنسية في المكسيك بالمشكلة السياسية الخطيرة التي تعكر صفو العلاقات الفرنسية المكسيكية، ولم تكن بحد ذاتها كافية لتبرير الحملة الفرنسية، وإنما كانت هناك دوافع أخرى لا تقل أهمية في تبرير الحملة، إلا وهي المصالح التجارية الفرنسية في المكسيك، وهو ما نتطرق اليه في البحث القادم.

ثانياً: المصالح التجارية الفرنسية في المكسيك:

بسبب النمو المتزايد للرعايا الفرنسيين في المكسيك، وبروزهم في ميدان التجارة، وتصاعد المصالح التجارية الفرنسية، فانهم كانوا معرضين إلى صعوبات عدة بسبب تردي الأوضاع السياسية الداخلية التي القت بظلالها على الرعايا الأجانب، ومنها الفرنسيين، الأمر الذي تطلب تنظيم العلاقات التجارية بين البلدين.

لذا ففي الثامن من مايس ١٨٢٧ فان البارون داماس (Damas) وزير الخارجية الفرنسي ، ودبلوماسي مكسيكي يدعى كاماجو (Sebastain Camacho) وقعا على اتفاقية باسم الاعلانات[٢٦] (Declaration)، وهذه المعاهدة شملت شروط متبادلة بخصوص التجارة والملاحة بين فرنسا والمكسيك، مع ملاحظة ان هذه الاتفاقية لم ترد فيها إشارة إلى الاعتراف بالمكسيك كدولة مستقلة، مما أثار مشاعر الالم عند المكسيكيين[٢٧].

وإزاء تزايد شكاوى الرعايا الفرنسيين في المكسيك عن الأضرار التي تكبدوها ، ومن بينها حادثة بارزة في المطالب الفرنسية، وهي الشكوى التي تقدم بها صاحب محل للمعجنات إلى لويس فيليب، فان وزير خارجية فرنسا بولينياك[٢٨] (Jules de poligna) ارسل شكوى رسمية إلى القنصل العام الفرنسي في المكسيك كومبلوت (Cochelot) من الرابع مايس ١٨٣٠ بخصوص المعاملة التي تم الاتفاق عليها آنفا بين الجانبين، وذكر ما نصه:" لقد مضت ثلاثة اشهر منذ ان طالبنا بالتنفيذ الكامل للاعلانات التجارية عام ١٨٢٧، ومضت (١٦) شهراً منذ ان طالبنا بتعويض لرعايانا الذين تعرضت ممتلكاتهم إلى السرقة من الرابع من كانون الاول ١٨٢٨... وان حق التجارة، وحتى حق الإقامة هي حقوق اعتيادية يتمتع بها الاجانب المقيمين في دولة متحضرة، وبدون اي شروط في معاهدة" [٢٩]. طلب وزير الخارجية الفرنسية من القنصل الفرنسي بتقديم هذه الشكوى إلى الحكومة المكسيكية، وان يطالب: اولا بالالتزام الكامل بالاعلانات التجارية. وثانيا: بتعويض للضحايا الفرنسيين في سوق الباريه.

ولكن تغير الموقف الفرنسي من استقلال المكسيك مع اندلاع ثورة ١٨٣٠، عندما أعلن موليه[٣٠] (Mole) وزير خارجية فرنسا في عهد ملك فرنسا لويس فيليب الاعتراف بجمهورية المكسيك كدولة مستقلة، ذلك الاعتراف الذي لم يتم الترحيب به بحماس في المكسيك، بسبب تأخر الحكومة الفرنسية في القيام بذلك[٣١].

لم تشهد الفترة اللاحقة ، وبعد الاعتراف الفرنسي بالمكسيك، تحسن ملحوظ في واقع المصالح التجارية للرعايا الفرنسيين في المكسيك، وإنما وعلى الخلاف من ذلك سجلت المفوضية الفرنسية تجاوزات عدة بهذا الخصوص لخصها كوجيلوت بما يلي:" **مطالب لم يتم تسويتها للفرنسيينن وهي أصبات وعراقيل في وجه تجارة فرنسا، وقرض إجباري من جميع رعايا فرنسا المقيمين في المكسيك، وهنا انتهاك لشروط اتفاقية الاعلانات، والأكثر من ذلك الرفض المكسيكي العنيد للتفاوض على عقد معاهدة تجارية مع فرنسا، في الوقت الحالي الذي اعترفت به فرنسا باستقلال المكسيك، وبدون أية شروط**"[٣٢].

كما أشارت المفوضية الفرنسية إلى تجاوزات أخرى، وبالتفصيل، منها في تشرين الثاني ١٨٣٥ عندما قلصت الحكومة المكسيكية فترة دفع الفوائد الكمركية من ستة أشهر [١٨٠ يوماً] إلى ٤٠-٨٠ يوماً. وبعد مرور

شهرين فانها رفضت قبول سندات الكمارك (دفع غير نقدي) كدفع جزئي من العوائد، فضلا عن ذلك فانهان وبصورة مفاجئة، اشترطت على جميع التجار، بأستثناء العمال الماهرين[اصحاب الحرف اليدوية البسطاء] ان يشتروا سندات حكومية تسمى (Derecho de Patente) بكلفة تتراوح بين ١٠٠-٤٠٠دولار[٣٣].وفي حزيران ١٨٣٦ فان الكونغرس المكسيكي أتبع هذا الإجراء الحكومي بقرار فرض قرض إجباري على جميع المنظمات التجارية، سواء كانت أجنبية أم وطنية من أجل جمع مبلغ مليونين دولار. وإن مساهمات الحدين الاعلى والأدنى قد تم تثبيتها في بداية الأمر على الف دولار كحد أعلى، ومئة دولار كحد أدنى. وبعدها تم تغيير ذلك بحيث ان المبالغ المفروضة اصبحت مرتفعة (٦٠٠) دولار لكل منظمة تجارية[٣٤].

وفي هذا الصدد اعتقد ديفوديه، وبالتوافق مع ريتشارد باكينهام[٣٥] (Richard pakenham) الوزير البريطاني المنتدب إلى المكسيك، بان الضرائب التي فرضتها حكومة المكسيك، هي ضرائب تمييزية بالضد لرعايا التجار الاجانب، واشار ديغوديه بان الضرائب التي فرضت على التجار الفرنسيين بلغ متوسطها بين ١٣٠٠-١٥٠٠دولار، وهي مبالغ تضاهي بكثير المبالغ التي فرضت على التجار المكسيكيين، الذين لديهم مشاريع مشابهه لموارد الفرنسيين، واضاف ان ارباح بائع المفرد الفرنسي المتوسط تصل إلى تقريبا ٢٧٠٠دولار في سنة مزدهرة اقتصاديا، ولذلك فان قرار الحكومة المكسيكية اذا تم تطبيقه بحذافيره فانه سوف يثير الصعوبة الشديدة بل حتى الدمار للكثير من التجار مما دفع التجار الفرنسيين في مكسيكو، وتامبيكو، وفي زاكاتيكاس[٣٦] (Zacatecas) لتقديم التماسات [عرائض] إلى ديفوديه لانقاذهم من استغلال حكومة المكسيك لهم[٣٧]. فضلا عن ذلك كانت هناك شكاوى واحتجاجات ومظالم قدمتها شركات تجارية ضد المكسيك[٣٨].

هذه الظروف والأجواء التي واجهها التجار والتجارة الفرنسية أثرت سلباً على حجم الصادرات الفرنسية إلى المكسيك، مما ادى إلى انخفاض نسبتها بالتدريج خلال الازمة. ففي عام ١٨٣٥ بلغت الصادرات الفرنسية إلى المكسيك (١٣) مليون فرنك، وانخفضت بشدة في السنة التالية لتصبح (٧.٥) مليون فرنك فقط، ولم ترتفع ثانية إلى (١٠) مليون إلا في عام ١٨٤٦. وان جدول الصادرات يشير بوضوح للازدهار النبي للتجار الفرنسيين الذين كانوا يعملون كتجار جملة وبائعي مفرد داخل المكسيك، إذ كانت ٣/٢ إلى ٥/٤ من تجارتهم هي سلع فرنسية،وان الانخفاض في الصادرات قد تمت ترجمته كنسبة من الانخفاض في نشاطهم التجاري[٣٩].

ثالثاً: عامل العرق:

يتبين مما تقدم، ومن خلال استعراض شكاوى المستعمرة الفرنسية في المكسيك، والمصالح التجارية، أن الطابع السلبي هو السائد في طبيعة العلاقات الفرنسية المكسيكية، ولاسيما في فترة الثلاثينيات. وهنا يفرض سؤال نفسه : **ما هو اسلوب تعامل الفرنسيين وسلوكياتهم إزاء المكسيكيين، والذي دفع الأخيرين إلى ان يحملوا مشاعر الجفاء والكراهية للفرنسيين؟** الإجابة على ذلك السؤال يتمثل في عامل العرق (Race) والمقصود هو شعور الفرنسيين بتفوقهم على المكسيكيين كأعراق بشرية. وهذا العامل زاد في سوء العلاقات الفرنسية-المكسيكية، بعد ان تعاملت فرنسا مع الشعب المكسيكي باحتقار، ونظرت اليه على انه شعب لا يستحق صرف وقت وتقدير من اي شخص أوربي. والفرد المكسيكي في نظرهم:"**نوع فريد نوعه لسوء الحظ في العالم لأنه شخص له عيوب بسبب قوميته، ولقد تم النظر اليه على أنه اشبه بالطفل، وعيوبه نشأت من الضعف وعدم النضوج**"[٤٠]. كما نظروا الى المكسيكيين على انهم منحدرين بالدم من الإسبان، وانهم يحملون في شرايينهم التي تحمل الدماء جميع العيوب المزعومة للغزاة السابقين لهم [الأسبان]. فاشار ضابط حربي فرنسي على ساحل فيراكوز خلال قصف عام ١٨٣٨ إلى ان المكسيكين"**عرق أسباني سيء الحظ في المكسيك، عرق منحط ومتعفن، وهو عرق انتشر في الامريكيتين يحاول عبثا التخلص من الاضطراب والشقاء، رغم وجود جميع فرص الحرية والثروة**"[٤١] وفي الوقت ذاته فان القائم بالاعمال الفرنسي في تكساس وهو الفونسو دوبوا (Alphonse Dubais)، اشار إلى توسع الامريكيين الانكليز في المنطقة واستنتج:"... **ان هذا العرق الإسباني التعيس في المكسيك، هو عرق حيواني ومنحط ومستهلك جسدياً واخلاقيا بسبب فساده الخاص به، وهو محكوم عليه بان يخسر البلاد الرائعة، التي وهبها الله، والتي لا يستطيع هذا العرق تطوير مواردها**"[٤٢].

أما مؤيدي النقص الثقافي للمكسيكيين فيميلون إلى إيجاد اصل ذلك النقص عبر قرون من الحكم الإسباني السيء. وطبقا إلى هذه الفرضية فان خط طويل من المسؤولين الإسبان كانوا قد اوصلوا إلى المكسيكيين جميع العادات المذمومة والرذائل التي قادت إلى هبوط إسبانيا من المجد إلى الانحطاط. وعندما قام وزير خارجية فرنسا بتحذير وكيله من الصعوبات التي سوف يواجهها في المفاوضات مع المكسيكيين فانه نصحه ذاكراً:" **أن نظام السلوك المتبع في المكسيك يختلف قليلا عن السلوك الذي اثبتت التجربة انه السلوك الأفضل في إسبانيا، بل ان الشعب والحكومة والإدارة، وكل شيء في الدولتين هي نفسها على سبيل المثال: التقاليد والنزاهة والممارسات والتحاملات، أو الانحيازات**"[٤٣]. وبذلك اكتسبت المكسيك من إسبانيا التعصب الديني السيء الصيت، ومقاومتها للتقدم الحديث واستعدادها للفساد. وأن أول وزير فرنسي في المكسيك، وهو البارون انتوني ديفودوس (Antonine Deffaoudis) وافق كليا على أفكار وزير خاريجة فرنسا، ولقد كتب : "ان التعليم الذي تلقاه هذا الشعب البائس هو تعليم سيء جداً بحيث ان هذا الشعب تنقصه المفاهيم الأساسية جداً وهي القانون والعدالة"[٤٤].

رابعاً: دور المفوضية الفرنسية في المكسيك في تأجيج الخلاف الفرنسي المكسيكي:

حسب وجهة نظر الحكومة المكسيكية، فإنها وجدت جميع الوزراء الفرنسيين الخمسة الذين جاءوا إلى المكسيك في الفترة ١٨٣٢-١٨٦٢ كانوا هجوميين على المكسيك، وبسبب "العنجهية" والكبرياء والنظرة المتعالية لهم صار من المستحيل انجاز مفاوضات مع حكومة المكسيك.

وبالفعل كان الوزراء الفرنسيين صريحين جدا في تقاريرهم في الإعراب عن احتقارهم للمكسيكيين، لأنهم نظروا إلى الفرد المكسيكي على انه من عرق ناقص، كما مر ذكره آنفاً. فالبنسبة إلى ديغدوس فان:"**المكسيكيين لا يعرفون الاستقامة والنزاهة ابداً وحتى إذا اقسموا قسماً مقدساً فانه خالي من اية قيمة**"[٤٥] وبالنسبة للوزير الذي جاء بعده وهو البارون ازدور ألدي دي (Isdor Alleye de Cypery) **فأن المكسيكيين ينقصهم الدم الأوربي الضرروي لاتخاذ قرار رجولي وكذلك تنقصهم الاستقامة الأخلاقية**"، وكان يشير إلى المسؤولين المكسيكيين بانهم **أطفال وان كانوا رجال ويجب إظهار العصا لهم دائماً**"[٤٦]. وعلى كل حال فان تلك النظرة المسبقة ساهمت، وبشكل خطي في تأزم العلاقات الفرنسية المكسيكية.

وفي خضم تلك الأزمة فشلت الحكومة الفرنسية كليا في التوصل إلى حل لمشاكلها مع المكسيك، ولعب التغيير السريع في منصب وزير الخارجية فرنسا دوراً ليس قليلا في ذلك الفشل، فعلى سبيل المثال تتابعت على وزارة الخارجية في العام ١٨٣٦ ثلاثة وزراء هم على التوالي : بروكلي (Broglie)، الذي خرج من منصبه في شباط ١٨٣٦، وأدولف (Adolph) الذي ظل في منصبه لغاية ايلول، ومولييه، الذي عاد إلى منصبه السابق بعد سقوط ادولف.

فضلا عن ذلك فان التذبذات في نهج السياسة الخارجية الفرنسية إزاء المكسيك كانت متواصلة اكثر من مجرد تغيير وزراء خارجية فرنسيين، إذ ان جميع وزراء خارجية فرنسا لم يكن لديهم الوقت، ولا الميل نحو التفكير للقيام بإجراء مباشر ضد المكسيك. علاوة على ذلك كان الوزير الجديد يلجأ، وعلى نحو مفاجئ الى تغيير سياسته مع المكسيك بسياق جديد في التحول من سياسة التهدئة الى سياسة الشدة او الاعتدال، دون الأخذ بنظر الاعتبار ما تسببه تلك السياسة الجديدة من احراج لموقف المفوضية الفرنسية في المكسيك، مما كان من الطبيعي إزاء هذه التناقضات في اوامر وزارة الخارجية الفرنسية ان تحدث ارباكاً في موقف ديفدوس من الحكومة المكسيكية، وزاد الموقف إحراجاً وجود فترة تأخير يستمر شهر بين وصول هذه التعليمات التي تنقل من فرنسا إلى المكسيك، وتعبر خلال المحيط الاطلسي حيث العواصف، وحالات توقف السفن في تلك الرحلة الطويلة، مما يضطر الوزير الفرنسي في المكسيك إلى التصرف وبفردية إزاء القضايا الآنية[٤٧].

إن هذه الأحداث الأخيرة، وما رافقتها من توتر واضح في العلاقات الفرنسية المكسيكية، دفع الوزير الفرنسي ديفدوس إلى إعداد تقرير حول وجهات نظره إلى الخارجية الفرنسية في الأول من شباط عام ١٨٣٦ اقترح فيها ان تقوم حكومة المكسيك بالاستجابة للمطالب الفرنسية. وفي تقديره ان تقوم قوة بحرية فرنسية بالاستيلاء على قلعة سان خوان دي أولوا[٤٨] (San Juan de Ulua) التي كانت تحرس ميناء فيراكوز. ومن تلك النقطة يجب إرسال سفن فرنسية لمحاصرة تامبيكو ومتامورس[٤٩] Matamoros ، موانئ أخرى، وعلى هذا

النحو يتم تصفية جميع إيرادات حكومة المكسيك.وهكذا هذه اول اشارة لاقتراح ان تقوم دولة اوربية بالاستيلاء على ايرادات الرسوم الكمركية لدولة من دول امريكا اللاتينية من اجل ضمان دفع الديون.

أيد كوجيلوت (Cochelot) في تقريره إلى الخارجية الفرنسية في شباط ١٨٣٧ ما تقدم به ديفدوس في رسالتيه إلى الخارجية الفرنسية في كانون الثاني ١٨٣٦ و ٢٧ تشرين الثاني ١٨٣٦، بخصوص اللجوء إلى القوة ضد المكسيك لتحقيق مطالب وشكاوى الرعايا الفرنسيين ، ورد الاعتبار إلى الكرامة الفرنسية عندما ذكر: وليس فقط مصالح فرنسا قد تضررت ولكن كذلك الشتائم الكثيرة التي وجهت ضد حكومة فرنسا"[٥٠] وكرر في تقريره الاقتراحات ذاته الذي ذكره ديغدوس لمحاصرة الموانيء المكسيكية لضمان ايرادات المكسيك، والاقتراح الجديد الذي ذكره في هذا الصدد، هو في حالة استخدام القوة ضد حكومة المكسيك، فان فرنسا يجب لها ان تضمن تأييد وتعاون القوى الاجنبية الأخرى، التي وحسب وجهة نظره، تعاني الصعوبات ذاتها مع الحكومة المكسيكية[٥١].

وعلى هذا النحو اصبحت الاستراتيجية الفرنسية إزاء المكسيك تتحول من سياسة التهدئة إلى سياسة القوة في العلاقات الدولية، وهو الموضوع الذي سنتطرق اليه في المبحث القادم.

المبحث الثاني: إعلان فرنسا الحرب على المكسيك:

أولاً: حصار الموانيء المكسيكية.

على اثر تأزم العلاقات الفرنسية المكسيكية، على النحو الذي اشرنا اليه آنفاً اتخذ وزير خارجية فرنسا الكونت موليه خطوة جديدة على صعيد العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، عندما اوعز إلى ديفدوس في السابع من تشرين الثاني ١٨٣٦ بتوجيه رسالة إلى وزير خارجية المكسيك تتضمن انذار نهائي إلى الحكومة المكسيكية للاستجابة لمطالب الحكومة الفرنسية، وفي حالة الرفض فان الملك الفرنسي لم يتوان في إرسال قوة مسلحة إلى ميناء فيراكوز لضمان تنفيذ المطالب الفرنسية[٥٢].

اضطر ديفدوس في موقفه المحرج إلى تقديم بيانا رسميا عن مذكرة الإنذار النهائي تضمنت مطالب وإدعاءات عدة منها التعويض عن أعمال العنف والأضرار التي لحقت بالممتلكات الفرنسية، وعقوبة قتلة الفرنسيين في اتينسينكو (Atencingo) عام ١٨٣٣، وعقوبة قتلة اثنين آخرين في تامبيكو، ورد مظالم أخرى. وبهذا غدت الحكومة الفرنسية امام موقفين لا ثالث لهما، أما التراجع عن موقفها، أو استسلام المكسيك، وكلاهما لايبدو من المحتمل حدوثه[٥٢].

مرة اخرى اخذت هواجس الفرنسيين في المكسيك تشغل حيزا من اهتمامات وزير الخارجية الفرنسي ، ففي تشرين الاول (١٨٣٧) ارسل تقريرا مطولا إلى الملك الفرنسي لويس فيليب يتضمن مراجعة للمشاكل والمصاعب الفرنسية في المكسيك، وفيها أوصى إرسال قوة بحرية كافية للاستيلاء على قلعة سان خوان دي اولو، ومحاصرة موانيء خليج المكسيك. كما ارسل موليه امر رسمي إلى ديفدوس ليبقى في منصبه لغاية ارسال أوامر جديدة. وفي الثاني من تشرين الثاني وافق الملك الفرنسي على تقرير موليه. وإزاء ذلك قررت الحكومة الفرنسية إرسال إنذار نهائي جديد إلى المكسيك، والمطالبة بدفع فوري للتعويضات إلى رعايا فرنسا في المكسيك. وفي حالة رفض المكسيك الاستجابة للإنذار الفرنسي، فان الحكومة الفرنسية ستجد نفسها مضطرة إلى إرسال قوة بحرية لضمان الاستجابة لمطاليبها[٥٣].

وفي كانون الأول ١٨٣٧ أعلن لويس فيليب امام البرلمان الفرنسي عن قراره باللجوء إلى القوة ضد المكسيك عندما اعلن قائلاً:" **سوف نقوم بهذا الفعل لنضمن للتجار الفرنسيين في المكسيك العدالة والأمن وضمان حقوقهم**"[٥٤] مما يشير ان المصالح الفرنسية كانت لها الأولوية في حسابات وتقديرات الحكومة الفرنسية في حملتها على المكسيك.

وسرعان ما بدات التحركات والخطط العسكرية تأخذ مجراها في أعقاب خطاب الملك أمام البرلمان الفرنسي، وفي رسالة من الوزير الفرنسي روساميل[٥٥](Rosamel) (١٧٧٤-١٨٤٨) إلى القائد البحري الفرنسي بازوج[٥٦](Bazoche) في تشرين الثاني ١٨٣٧ ورد فيها ان الملك عهد الى بازوج لقيادة الحملة لجعل حكومة المكسيك تفهم:" ان فرنسا عظيمة وسخية نحو الأمم التي هي أضعف منها، ولكن في حالة إصرار تلك

الأمم على خطأها، فأن فرنسا في الوقت نفسه لها كرامتها الكبيرة بحيث لا تستطيع ان تتحمل امة تتجاهل التمثيل الشرعي الفرنسي على أرضها وان فرنسا قوية جدا وتستطيع ان تعاقب الآخرين على شتمائهم لها"[٥٧].

بعدها تطرق فيها إلى الخطط العسكرية ذاكراً:

"...انا هنا اتوقع النتيجة المحتملة جدا، وهي قيامكم بمحاصرة موانيء المكسيك. وان ساحل المكسيك يقطعه عدد غير محدود من الأنهار، ورغم ان الدخول في هذه الأنهار صعب بل حتى أخطر فانها رغم ذلك تتردد عليها السفن التجارية، وليس هناك حاجة إلى محاصرة جميع هذه الأنهار ولكن يجب اخضاع هذه الانهار إلى المراقبة الصارمة من قبل سفن فرنسية في الاماكن الرئيسة التي تتردد عليها السفن التجارية الأوربية..." [٥٨].

وفي رسالة اخرى، وسرية في التاريخ نفسه، فان الوزير روساميل اعترف بان حصار الساحل المكسيكي لايشكل خسارة لتجارة فرنسا وحدها، فحسب ، بل وانما خسارة لتجارة الدول الأخرى. ومن اجل التوصل إلى حل سريع للخلاف القائم في المكسيك، اقترح وسائل أخرى بديلة للحصار، وهي الهجوم ، واحتلال ميناء فيراكوز وقلعة سان خوان دي اولو المجاورة للميناء، وتم ارسال خطط وتعليمات تفصيلية إلى بازوج بان يتحرك على ساحل المكسيك إلى ان يكون قد وضع خطة دقيقة وجاهزة للعمليات ، ومما ورد فيها:

"...إذن بينما الموانيء الرئيسة للجمهورية سوف تتم محاصرتها في الوقت نفسه بواسطة سفن صغيرة من قوتكم البحرية فانكم يجب ان تقوموا في الوقت عينه بهجوم باستخدام اثنين من سفنكم الحربية على فيراكوز وسان خوان دي اولو، وبمجرد سيطرتكم على المدينة، وبعد إلقاء القبض على المسؤولين المكسيكيين القياديين، واعتقالهم كأسرى على ظهر سفنكم، فانكم يجب ان تحافظوا على موقفكم باحتلال كل من المدينة والقلعة باسلوب عسكري"[٥٩].

وفي غضون الانتظار القاتل الذي عاشه ديغودس لحين وصول السفن الحربية، ارسل في ٢١ آذار انذار نهائي إلى العاصمة المكسيكية يطالب فيه بتعويض قدره (٦٠٠) الف دولار، وهذه الخطوة لم تؤد إلا إلى تأجيج الخلافات أكثر بين فرنسا والمكسيك، ولاسيما بعد ان ادركت الأخيرة بالضعف الفرنسي مع حلول فصل الصيف، مما يرافق قدومه انتشار حمى الصفراء.

وعليه لم يكن رد فعل المكسيكيين على الإنذار النهائي الذي أرسله ديفودس رد فعل سلبي فحسب، وانما كان ايضاً بمثابة إهانة لفرنسا، إذ اتهم الرئيس المكسيكي بوستامانتي فرنسا انها تقوم باعتداء على المكسيك، وانها تتآمر ضط نظام الجمهورية للحكومة المكسيكية، وبذلك القرار نجحت الحكومة المكسيكية في توحيد الشعب المكسيكي حولها في الدفاع عن الجمهورية وفي الوقت نفسه في التصدي لأعدائه من الحزب الفدرالي[٦٠].

وعلى أثر رفض المكسيك للإنذار الفرنسي، اسرع كلا من بازوج وديفوديه إلى فرض حصار على ميناء فيراكوز في ١٦ نيسان ١٨٣٨، ولكنها لم تتمكن من الهجوم على القلعة لغاية شهر آب من العام نفسه، مما كان للحصار الطويل تاثيره السلبي على الحملة، إذ اصاب الحمى الصفراء اكثر من ثلث طاقم القوة الفرنسية، وتوفي الكثير منهم، حتى ان القائد بازوج، وبسبب معاناته من الصعوبات العديدة التي واكبت الحصار، اضطر إلى الاعتراف بالهزيمة وطلب الإذن للعودة إلى فرنسا، وقبله اضطر ديفودوس إلى التخلي عن منصبه في ١٢ حزيران وابحر إلى بريست (Brest)[٦١] على ظهر إحدى السفن الناقلة، بعد أن أحس بالضعف جسدياً وذهنياً بسبب تاثير المناخ الساحلي، فضلا عن شعوره بالضعف الفرنسي، الذي جعله يشهد حالات صراع وهلوسة[٦٢].

وعلى هذا النحو يمكن الإشارة إلى فشل الحصار الفرنسي على الموانيء المكسيكية في المرحلة الأولى.

ثانياً: انتصار قائد القوات البحرية بودين:

بعد فشل بازوج في مهمته، لجأت الحكومة الفرنسية إلى تعزيز قواتها في المكسيك بمجموعة اخرى من السفن، فعهدت بقيادة هذه القوات إلى القائد البحري شارلز بودين (Budin) قائد المؤخرة، وهو ضابط قديم كان له مكانة مرموقة لشجاعته الفائقة. وتم توجيه الأوامر لتكرار المطالب الفرنسية للحصول على دفع فروي وكلي للتعويض (٦٠٠) الف دولار، والإصرار على إعفاء رعايا فرنسا من القروض الإلزامية، وحق الرعايا في

المشاركة في بيع المفرد. كما منحته الحكومة الفرنسية السلطة للمطالبة بمبلغ إضافي (٢٠٠) الف دولار، للمساعدة في تغطية تكاليف الحملة الفرنسية على المكسيك[٦٣].

وعلى هذا النحو عندما وصل بودين إلى ميناء فيراكوز في ٢٦ تشرين الاول ١٨٣٨ لم يواجه صعوبة كبيرة في الاجتماع مع وزير خارجية المكسيك كويفاس في مدينة جالابا (Jalapa)، ولاسيما وان الجانب المكسيكي كانت بدورها تميل إلى التفاوض بسبب الخسائر التي منيت بها والتي تم تقديرها بـ(٣) مليون دولار بسبب الحصار الفرنسي، مما دفعها –اي الحكومة المكسيكية- إلى فرض ضرائب ثقيلة على مواطنيها من أجل تلبية متطلبات الدفع لجيشها وتحضير دفاعاتها[٦٤]. تم الاتفاق بين الجانبين على جميع النقاط باستثناء تجارة بيع المفرد، وبذلك انهارت المفاوضات بسبب موضوع تجارة بيع المفرد اكثر مما انهارت بسبب موضوع تعويض رعايا فرنسا.

في أعقاب رفض المكسيك للشروط الفرنسية، بلغ بودين قائد فيراكوز رينكوك (Manuel Rincon) للشروع بقصف الميناء، لإجبار الحكومة المكسيكية على دفع التعويضات للرعايا الفرنسيين في المكسيك بدأ القصف عصر ٢٧ تشرين الثاني ١٨٣٨، وغدت القلعة مدمرة من شدة القصف، وأسكتت صوت الكتائب المكسيكية الواحدة تلو الأخرى حتى وقعت البحرية المكسيكية بأكملها في الاسر الفرنسي في فيراكوز[٦٥]. وان التفوق الفرنسي سرعان ما تضح جليا حتى ان بودين سمح للأمير جونفيل[٦٦] (Joinville) ابن ملك فرنسا ، والذي كان يتحرق شوقاً في المشاركة للحصول على شرف القتال، ان يقترب بسفينته من السفن الحربية الفرنسية ويشارك في القصف. وفي اليوم التالي -٢٨-تشرين الثاني- سيطرت قوة فرنسية رسيما على القلعة، وسمح للمدافعين المكسيكيين عنها بالخروج منها بكل شرف حربي، وبذلك استرجع بودين شرف الأسطول الفرنسي.

على أثر ذلك اعلنت المكسيك الحرب على فرنسا في كانون الأول ١٨٣٨، واصدرت أوامر لطرد جميع الفرنسيين من المكسيك، مما دفع بودين إلى تبليغ قائد القوات الفرنسية في المحيط الهادي لمحاصرة الموانيء الغربية للمكسيك التي كانت تتاجر مع الدول الاجنبية[٦٧].

رغم التفوق الفرنسي في هذه المرحلة، إلا أنه كان ينقصه العدد الكافي من الرجال لاحتلال المدينة وإخضاعها، فضلا عن وجود كائب المدفعية المكسيكية، وقوة حراسة مكسيكية في المدينة، والتي كان بغمكانها ان تمنع قوات بودين من التحرك من القلعة إلى الساحل من اجل الحصول على التجهيزات والأسلحة من السفن[٦٨].

عندما علم باودين بقرار الحكومة المكسيكية في إعلان الحرب، فأن اول رد فعل له، هو إعادة فورية للحصار على فيراكوز. بعدها لجا إلى تنظيم ثلاثة مجموعات ساحلية من المقاتلين، اثنان منها تبدأ بالتحرك لتعطيل مواقع كتائب المدينة المكسيكية، وذلك بوضع مسامير ضخمة في فوهات تلك المدافع. أما المجموعة الثالثة فانها تتقدم في المدينة لإلقاء القبض على الجنرال سانتا آنا[٦٩] (Sant Anna) (١٧٩٤-١٧٧٦)، الذي قاد حركة المقاومة ضد الفرنسيين، وماريانو اريستا [٧٠](Arista) (١٨٠٢-١٨٥٥) بهذه الاستراتيجية نجح بودين في نزع سلاح المدينة وإخضاعها[٧١].

وفي غضون ذلك ، كان لتأخير الهجوم الفرنسي ، قد منح الوقت إلى سانتا آنا باختراق البوابة الرئيسية للمدينة، وشن هجوم على الجانب الفرنسي، مما كان عاملاً في إثارة حماس المكسيك، وهو لموضوع الذي سناتي على ذكره خلال المبحث الآتي.

ثالثاً: ظهور سانتا آنا على المسرح السياسي المكسيكي:

كان سانتا آنا قائد الحملة المكسيكية الفاشلة على تكساس، واثر هزيمته في الحملة المذكورة على سمعته السياسية وشعبيته[٧٢]، مما دفعه إلى الانعزال عن الجيش والسياسة والحياة العامة، لا يوجد سوى معلومات محدودة عن نشاطاته خلال هذه الفترة، مع الإشارة إلى انعدام أية مراسلات تشير إلى انه كان يتآمر ضد الحكومة، أو يخطط للعودية للحكم، وفي الوقت نفسه، لا توجد إشارات تدلل على اهتمامه بالأحداث الوطنية[٧٣].

على أية حال، عندما وصلت صوت المدافع الفرنسية إلى منطقة مانكاوي كلافو (Manga de Clavo)، حيثما تقع مزرعة سانتا آنا، في السابع والعشرون من تشرين الثاني ١٨٣٨، وجد الأخير ان الفرصة مناسبة لاسترجاع سمعته، وإعادة الثقة به. فأسرع إلى امتطاء صهوة جواده، والعودة إلى ساحة الحرب ضد الفرنسيين،

مدعيا : انه شعر ان واجبه ان يضع نفسه في خدمة الأمة"، كما اعلن ان :" الرب والعدالة يقفان إلى جانب المكسيك، وان الشرف والواجب يدفعاه إلى تقبل التحدي الفرنسي"[٧٤].

وفي مشهد مؤثر فان قاعات مجلس النواب المكسيكي ضجت بالتهافات والمرح والتصفيق، عندما تم إعلان تعيين سانتا آنا قائد محل القائد السابق رينكوك، الذي اضطر إلى تسليم القلعة للفرنسيين، وكان النواب يرددون شعارات حماسية:" أنه الرجل الذي نرغب فيه، انه منقذ البلاد"[٧٥]

أسرع سانتا آنا بعد ان وصل أمر تعيينه قائدا بإبلاغ القائد البحري الفرنسي بان الحكومة المكسيكية، ترفض اتفاقيات ٢٨ تشرين الثاني، وانها في حالة حرب مع فرنسا. جاء الرد الفرنسي إلى سانتا آنا عصر يوم ٤ كانون الاول ، وبلهجة شديدة تشير إلى ان المكسيكيين برفضهم هذا يرتكبون خطأ قائلاً، وان فيراكوز سوف يتم مسحها من الارض. وبعد ان تفقد سانتا آنا تحصينات ميناء فيراكوز، وتأكد من ان القوات المكسيكية المرابطة في الميناء مستعدة للهجوم شن هجوما في اليوم التالي باختراق البوابة الرئيسة للمدينة بالضد من ثلاثة آلاف جندي فرنسي، الذين شرعوا بالنزول في فيراكوزن ونجح في قتال الشوارع الذي دارت بين الجانبين مما اضطر الجيش الفرنسي إلى التقهقر ، والتخلي عن ميناء فيراكوز بالانسحاب إلى السفن في خليج المكسيك، لعدم قدرتها على مواجهة هجوم سانتا آنا . وفي وسط إطلاق قذائف المدفعية المستمر فان سانتا بنا استلم صليبا ماسيا من البرلمان المكسيكي مقابل بطولته في قمع الغزو الفرنسي، والذي جعل منه بطلاً وطنيلاً[٧٦].

إن هذا الفعل البطولي الإيثاري الذي قام به سانتا آنا قد تعزز في نظر الشعب المكسيكي عندما تعرض وهو على صهوة جواده يتجول في الشارع الرئيس في فيراكوز متوجهاً نحو الميناء، إلى قذيفة مدفع اصابته في ساقه اليسرى وجرحته جرحاً بليغاً، وان ساقه تم قطعها من تحت الركبة كعلاج في اليوم التالي. وهذه الحادثة، التي عززت موقعه ، دعمه بنشر رسالة وداعية ادعى فيه انه في سرير الموت، وان اهتمامه الوحيد كان في مصلحة الأمة، وبهذا الموقف افلح في جانبين: أولا: صور نفسه على انه ضحى بحياته من اجل السلامة المقدسة للمكسيك ضد الاحتلال الفرنسي، وقال :" لقد تعرضت إلى جرح في هذا الجهد الاخير الذي من المحتمل ان يكون النصر الأخير [يقصد بذلك انه سيموت من الجرح] الذي ساقدمه إلى وطني"[٧٧]. ثانياً: أنه نقل فكرة انه بعيد كل البعد عن الانقاسامات السياسية الحزبية، وانه يجسد شخصية الاب الذي يرغب في مصلحة ابناءه المكسيكيين، وانه يشعر بالسرور لانه عندما يموت فانه يمكن ان تكون هناك نهاية للانقسامات السياسية ذاكراً:" عندما ينتهي عملي [أموت] لا أستطيع ان امتنع عن الاعراب عن سروري وانا اشاهد بداية التصالح بين الفئات المكسيكية المتنازعة . وفي النهاية فانه ناشد:" الروح الوطنية المخلصة المتحمسة لشعب المكسيك ان يغفروا له اخطائه، وان لا يرفضوا منحه اللقب الذي يرغب فيه لتشريف ابنائه به، وهو لقب مكسيكي صالح أو جيد"[٧٨].

وعلى كل حال عرف سانتا انا كيف يستغل موضوع ساقة المقطوعة لتعزيز شعبيته، فضلا عن مكانته وسمعته ونفوذه السياسي[٧٩]، ووفقا إلى كلمات فاني كالديرون (Fanny Calderon) زوجة الوزير الإسباني الأول في المكسيك، فان" سانتا آنا" لم يتعب ابداً في الحديث عن ساقه المصابة"[٨٠]. اما في المكسيك فان ساق سانتا انا المقطوعة قد عاشت بضعة اجيال اعتمادا على هل ان المكسيكيون كانوا يرغبون في تشريف صورة سانتا انا ام يشوهوها[٨١].

المبحث الثالث: توسط بريطانيا بين الجانبين وإنهاء الخلاف:

لم تكن بريطانيا بمنأى عن أوضاع الساحة المكسيكية، منذ أن تأزمت العلاقات الفرنسية المكسيكية، وأعلنت فرنسا الحصار على السواحل المكسيكية في نيسان ١٨٣٨، إذ حتمت مصالح بريطانيا التجارية ان تراقب عن كثب تطورات الأزمة، ولاسيما وانها بدورها كانت لها مطالب معلقة مع الحكومة المكسيكية، فأوجست الخيفة من نشوب حرب بين فرنسا والمكسيك، لذا عرضت وساطتها بينها منذ بداية الأزمة بهدف التوصل إلى تسوية سلمية وودية. وعندما رفضت فرنسا الوساطة الانكليزية، فأن ارثر استون (Arthur Aston)، الوزير المفوض البريطاني في المكسيك، توقع ان فرض الحصار على قلعة سان خوان دي اولو سيقود إلى الاحتلال الفرنسي للمكسيك، الأمر الذي يهدد المصالح التجارية الانكليزية ، مما دفع الممثل الانكليزي ان يطلب من موليه قائد الحملة الفرنسية تفسيرات لفظية وضمانات رسمية من قبل فرنسا لعدم التعرض للمصالح التجارية البريطانية[٨٢].

وبعد إعلان فرنسا الحرب، وجد باودين ان الحصار سيكون له مردود سلبي لا على المكسيك وحده فحسب، لأنه ينخفض وبالتدريج الموارد الماليه لها، ولكن له تأثيره السلبي في الوقت نفسه على الجانب الفرنسي لأنه سيكون حصارا طويلا وبطيئا تستطيع المكسيك إزاءها الصمود لفترة طويلة معتمدة على امكانياتها الذاتية وقوة تحملها، فيما تنتظر الحملة الفرنسية قدوم فصل صيف آخر، وما يواكبها من انتشار مرض الحمى الصفراء المنتشرة في الساحل المكسيكي، وهذه الظروف لا تشكل تهديدا واضرار للتجارة الفرنسية وحده، فحسب وانما بجميع الدول التي لها تجارة مع المكسيك، لذا وجد بادوين ان المخرج من هذه الازمة تتمثل بتوسط طرف ثالث لجعل الطرفين يجلسا على طاولة المفاوضات(٨٣).

وعلى هذا النحو تحول موقف فرنسا من الوساطة الانكليزية، والتي رفضتها بالسابق، مما دفع اللورد بالمرستون(٨٤) (١٧٨٤-١٨٦٥) ان يطلب من اللورد بكنهام القائم باعمال المفوضية الانكليزية العودة مكسيكو للتوسط بين الجانبين وحسم الصراع.

وجاء الموقف السياسي الداخلي للمكسيك بدوره ملائما لوقف الصراع مع فرنسا، ففي بداية كانون الاول فان الفدراليين كانوا على وشك النجاح في الإطاحة بحكومة المكسيك، حتى ان الرئيس المكسيكي بوستامينتي ناشد سانتا انا ليقدم له المساعدة ضد الفدراليين مقابل حصول الاخير على ثمن مساعدته بتوليته السلطة بدون شروط. وفي ظل هذه الظروف ، ونشوب حرب تكساس(٨٥)، فان حكومة المكسيك كانت مضطرة لقبول المفاوضات مع باودين للتوصل إلى التسوية(٨٦).

دارت مفاوضات السلام بين الجانبين في بداية آذار ١٩٣٩ على ظهر سفينة انكليزية في فيراكوز بين باودين ممثلا عن فرنسا، وكوروستيزا (Gorostiza) والجنرال المكسيكي كوادالويس فيكتوريا (Victoria) بطل الصراع المكسيكي من أجل الاستقلال.وتوصل الجانبين إلى عقد اتفاقية ومعاهدة السلام في التاسع من آذار(٨٧). وان **المادة الأولى** من المعاهدة اشترطت ان يسود السلام والصداقة الدائمة بين الدولتين. أما **المادة الثانية** فتم الاتفاق بين الطرفين حول اللجوء إلى طرف ثالث في حالة حدوث خلافات حول مسالتين:١-حسم مسألة السفن الحربية المكسيكية التي استولت عليها فرنسا بعد استسلام قلعة سان خوان دي اولو، أو الحصول على تعويض كاف مقابل تلك السفن المكسيكية فيما إذا كانت في حيازة فرنسا. ٢-اتفق الطرفان على تعويض المتضررين، سواء كانوا من رعايا فرنسا، أو المكسيك، والذين عانوا من خسائر بسبب الاعمال العدائية. واتفقوا في **المادة الثالثة** ان يتمتع الوكلاء الدبلوماسيين والقنصليين والمواطنين والسلع والسفن التابعة لكل دولة بالمعاملة الأفضل في الرعاية لحين التوصل لعقد معاهدة تجارة وملاحة بين الدولتين. وبموجب **المادة الرابعة** وعدت فرنسا بإرجاع قلعة سان خوان دي اولو إلى المكسيك باسرع وقت ممكن، بعد ان تقوم المكسيك بالمصادقة على المعاهدة والاتفاقية، واشترطت فرنسا ان يتم ذلك في غضون (١٢) يوما في اكثر الأحوال(٨٨).

اما الاتفاقية، فانها كانت مختصرة أكثر من المعاهدة، وان الشرط الوحيد فيها، والذي له اهميته، هو الأول، والتي فرضت على المكسيك ان تدفع إلى فرنسا مبلغ (٦٠٠) الف دولار نقدا في ثلاثة اقساط في فترة ستة اشهر تبدا بعد تاريخ المصادقة عليه من الحكومة المكسيكية، وعندما يتم تسديد ذلك المبلغ كاملا، فأن المكسيك تكون قد تحررت من التزاماتها المالية تجاه رعايا فرنسا قبيل يوم ٢٦ تشرين الثاني ١٨٣٨(٨٩).

في اليوم نفسه الذي تم التوقيع على المعاهدة والاتفاقية فان باودين والجنرال فكتوريا اتفقا على هدنة لمدة خمسة عشر يوما، يتم من خلالها فتح الموانئ المكسيكية ويسمح للتجار بتفريغ شحناتهم وتأخذ الاعمال التجارية مجراها الطبيعي.

على هذا النحو قرر باودين الانسحاب مع قواته من ساحل خليج المكسيك، بعد ان اصدر أوامره قبل ذلك وبيوم لأربعة من سفنه [ويشمل ذلك سفينة حربية فرقاطة] للإبحار إلى هافانا [كوبا] لتؤلف تلك السفن جزءً من محطة الخليج. أما بقية السفن فانه قام بإرجاعها إلى ميناء بريست (غرب فرنسا).

وبخصوص موقف الحكومة الفرنسية من إبرام المعاهدة، فيبدو ان كلا من ملك فرنسا ووزير خارجيته دالماتيا (Dalmatia) كانا متلهفين لقبول السلام مع المكسيك. فلما تم إشغال الاخير منصب وزير الخارجية، فانه اصدر أوامره إلى باودين للعودة إلى فرنسا مع جميع السفن، باستثناء ثلاثة منها للحاجة اليه في محطة الخليج.

وعلى أمل استئناف العلاقات الدبلوماسية الفرنسية المكسيكية، فان دالماتيا بادر بتوجيه الدعوة إلى كارو Carro الممثل المكسيكي في لندن للعودة إلى باريس. وعندما وصلت النصوص الرسمية للمعاهدة، والاتفاقية إلى باريس فان الملك صادق عليها في السادس من تموز في قصره في نيولي Neuilly ، مما أكد صحة توقعات بالمسترون عندما رد على مخاوف كارو من احتمال الرفض الفرنسي للمعاهدة ذاكراً: "ليقول الفرنسيون ما يقولوه، ان المعاهدة مع المكسيك تنقذهم من متاهة-موقف محرج- كانوا ضائعين فيه، رغم ما يقولوه ظاهريا فانهم من الداخل مسرورون جداً بالمعاهدة"(٩٠).

الخاتمة:

في ضوء المعلومات الواردة في البحث توصلنا إلى جملة استنتاجات يمكن غيجازها كالآتي:

أولاً: لم تكن الحملة البحرية الفرنسية في الفترة ١٨٣٨-١٨٣٩ سوى حلقة من حلقات التنافس الدولي الأوربي على مناطق الاستعمار ، بخاصة التنافس الدولي بين بريطانيا وفرنسا.

ثانياً: لم تكن مظالم وشكاوي الرعايا الفرنسيين في المكسيك بالمشكلة السياسية الخطيرة التي تدفع الحكومة الفرنسية إلى توجيه اساطيلها إلى المكسيك واحتلالها، والحال نفسه بالنسبة للاستثمارات الفرنسية في المكسيك لم تكن بالحجم الذي يشكل ضرورة اقتصادية لفرنسان وان كانت كلا العاملين شكلا السبب المباشر التي تذرعت بها فرنسا في توجيه حملتها على المكسيك، فيما كانت هناك دوافع اخرى ظهرت بوضوح من خلال تتبع العلاقات الفرنسية المكسيكية يتمثل بالتحامل العرقي العنصري الفرنسي ضد المكسيك، والضربة التي تم تسديدها ضد الكرامة الفرنسية من قبل شعب من أصل متخلف حسب وجهة نظر الفرنسيين، فجاءت رفض الحكومة المكسيكية للمطالب الفرنسية بتعويض رعاياها انفجارا شديدا للتحامل العرقي العنصري.

ثالثاً: اتضح من البحث حقيقة فشل توقعات فرنسا بخصوص ضعف المقاومة المكسيكية وسهولة اخضاعها، واثبتت أحداث الحرب البحرية، وعلى خلاف ذلك ان توقعات فرنسا حول ضعف المكسيك لا أساس له من الصحة.

رابعاً: تخلى الفرنسيون عن شروطهم واهدافهم الواحدة تلو الأخرى عندما واجهوا صعوبات غير متوقعة بمحاربتهم عدوا ضعيفاً ظاهريا، وتنازلوا عن الامتيازات التي منحوا بموجب إعلانات ١٨٢٧، فضلا عن ذلك فان شروط المعاهدة والاتفاقية كانت اقل تفضيلا لفرنسا مقارنة مع الشروط التي طالب بها ديفوديه الوزير المفوض الفرنسي في بداية الحصار، أو التي طالب بها بودين قبيل الاستيلاء على قلعى سان خوان دي اولو، أو الهجوم على فيراكوز، ومن بينها مسألة تنازل فرنسا عن عقوبة الموظفين المكسيكيين الذين اساءوا لرعايا فرنسا.

خامساً: ان نتائج الحملة برهنت على فشل الحملة البحرية الفرنسية في حماية رعايا فرنسا، أو التجارة الفرنسية في المكسيك، وأن النتيجة الوحيدة التي تم الحصول عليها من هذه الحملة، هي قيام الحكومة المكسيكية بتسديد ما عليها من الديون التي تبلغ (٦٠٠) ألف دولار [تقريبا ٣ مليون فرنك] فيما كانت تكاليف الحملة أكثر بكثير من المبالغ التي تم الحصول عليها. فضلا عن ذلك فان معاهدة ١٨٣٩ التي تم التوقيع عليها بين الجانبين لم تقم سوى بوقف القتال بين الجانبين، وان فرنسا لم تفلح في الحصول على معاهدة مع المكسيك تحصل بموجبها على ضمانات خاصة بصدد حق ممارسة بيع المفرد أو التحرر من القروض الإجبارية.

سادساً: أدعى كلا الطرفين انه حقق الانتصار على الآخر، فالجانب الفرنسي ، ولإخفاء حقيقة فشله الدبلوماسي والعسكري في تحقيق أهدافه المنشودة، ذكر انه قام بعدد من التنازلات للجانب المكسيكي ليتجنب إذلال عدو مهزوم، ولاشباع غرورهم وكرامتهم. وبالمقابل فان المكسيكيين بدورهم ادعوا بانهم احرزوا نصر خياليا ، ولكي يبروا إذلالهم واضطرارهم إلى دفع تعويضات إلى فرنسا، فانهم ضخموا حادثة المناوشات التي قام بها سانتا آنا في فيراكوز ضد الفرنسيين إلى عمل بطولي مجيد وعظيم، ووصلت شعبيته لدى المكسيكيين حينذاك إلى درجة اصبح يتمتع بمكانة محارب تساوي مكانة نابليون لدى الفرنسيين.

الهوامش والمصادر:

(١) ظهرت أول أمبراطورية مكسيكية عام ١٨٢١ عندما أعلن اوغسطين دي ثورباید (Agustin de Iturbide) (١٧٨٣-١٨٢٤) بمساعدة الكنيسة ومالكي الأراضي ان المكسيك مملكة دستورية، وحكمها بصفته أمبراطوراً من تموز ١٨٢٢- آذار ١٨٢٣ عندما تم إعلان الجمهورية من قبل سانتا آنا (Santa Anna) .

Lee Stacy: Mexico and United States (Marshall Cavendish-2002), P.226.

(2) Lynn V. Foster, A Brief History of Mexico (Infobase Publishing-2007),PP.117-119 Frederic Bancroft, "The French in Mexico and the Monroe Doctrine", Political Science Quarterly, Vol.11, No.1, (Mar., 1896), P.30.

(3) http:// en. Wikipedia, the free Encyclopedia , Pastry war, P.1.

(٤) تعرضت المفوضية البريطانية إلى سرقة مبلغ ٦٠٠.٠٠٠ قطعة معدنية نقدية.

(٥) البارية: هو السوق التجاري للتجار الأسبان في مدينة مكسيكو.

(6) Spencer Tucker, The Encyclopedia of the Mexican American War (ABC-CLIO-2013), P.250; Will Fowler, Sant Anna of Mexico, Lincoin, Ne, 2007, P.186.

(7) http:// en. Wikipedia.org/pastry war, 4/2/2013, P.1.

(٨) تاكوبايا: تقع بالقرب مدينة مكسيكو.

(٩) لويس فيليب: هو سليل لويس الثامن عشر والابن الاكبر لدوق اورليان الذي أعدم آبان أحداث الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩، هرب إلى خارج فرنسا وتنقل بين النمسا وسويسرا والولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا، عاد إلى فرنسا عام ١٨١٥، وبعد سقوط شارل العاشر عام ١٨٣٠ ، اختير لويس فيليب ليكون ملكاً على فنرسا مبتدءاً حكمه بما عرف باسم مليكة تموز، تحالف مع بريطانيا في بداية عهده، إلا أنهما اختلفا بسبب أزمة محمد علي باشا ١٨٣٩، والزواج الاسباني ١٨٤٧، سقط حكمه على أثر ثورة ١٨٤٨ في باريس ولجأ إلى بريطانيا وتوفي فيها عام ١٨٥٠. للتفاصيل راجع:

The New Encyclopedia Britannica, Chicago, 2003, Vol.7, P.510.

(١٠) البيسو: عملة المكسيك.

(11) Will Fowler, Tomel and Santa anna: The Write and the Caudillo, Mexico, 1795-1833, Westport, CT, 2000, P.167.

(١٢) اناستاسيو بوستامينتي: (١٧٨٠-١٨٥٣)ن اصبح رئيساً للمكسيك ثلاث مرات (١٨٣٠-١٨٣٢)، و(١٨٣٧-١٨٣٩)، و(١٨٣٩-١٨٤١)، كان محافظاً، جاء إلى السلطة لول مرة عن طريق انقلاب قام بقيادته للإطاحة بالرئيس المكسيكي فيسينتي كيرريرو (Guerrero). تم خلعه من منصب الرئاسة مرتين وفي كلاهما تم نفيه إلى أوربا.

British Encyclopedia Onlin

(13) http:// en. Wikipedia, The free encyclopedia , P.2; Will Fowler, Torned and Santa Anna, op.cit,P.165.

(١٤) تامبيكو: أكبر ميناء نهري وبحري مكسيكي على الساحل الشرقي للخليج العربي.

The New Encyclopedia Britannica, Vol.10, P.533.

(١٥) فيراكوز: بالإسبانية (بيراكروث) ولاية مكسيكية تقع في منتصف شرق المكسيك وتقع على ساحل خليج المكسيك، مركز المقاطعة مدينة جلايا، وهي ميناء على خليج ما للمكسيك.

Ibid, Vol.12, P.312.

(16)C.Herndon Willams Texas Gulf Cast stories , (The History Press-2010), P.101.

(17) William L. ShermanThe Course Of Mexican Hisroty, New York,2003, P.312;The Irish soldiers of mexico (Fondo Editorial Universitario -1998), P.31.

(18) G.Pop Atkins ,America and Caribbean in international System, Boulder, Co, 1999, P.319.

(19) Quoted in: Nancy Nichols barker, The French Colony in Mexico , 1921-16: Generator of Intervention, french historical Studies, Vol.9, No (Autumn, 1976, P.597.

(20)Nancy Nichols Barker, The French experience in Mexico, 1821-1861: A History of Constant Misunderstanding Contributors, University of north Carolina, Chapel Hill, Nc, 1979, P.57.

(21) Nancy Nichols barker, The French colony in Mexico 1821-1861, Generator of Intervention, P.597-598.

(22) Ibid, P.600.

(23) http:// en. Wikipedia, the free Encyclopedia, org/ Wiki/battle of Veracruz (1838), P.2.

(24)Hubert Howe Bancroft, History of the Pacific States of north America , Mexico (883-88, (Bencroft-1885), P.87.

(25) Nancy Nichols Barker, The French Experience In Mexico 1821-1861, P.58.

(٢٦) للتفاصيل عن هذه المعاهدة راجع:

William spence Robertson , France and latin- American Indefence , Baltimore, 1939, P.94-398; Henry Clay, The Papers of Henry clay, Secretary of state 1827, (University Press of Kentucky-1981), P.880.

(27)----------, French Intervention in Mexico in 1838, The Hispanic American Historical review, Vol.24, No.2,1944, P.222.

(٢٨) بولينياك: (١٧٨٠-١٨٤٧) سياسي فرنسي اصبح رئيس وزراء فرنسا في عصر الملك شارل العاشر عام ١٨٣٠ قبل فترة قصيرة من نشوب ثورة تموز ١٨٣٠ التي طالت بحكم عائلة بوربون.

British Encyclopedia online.

(29)Quoted in : William spence Robertson, French Intervention in Mexico in 1838, P.223.

(٣٠) لويس ماثيو موليه: سياسي فرنسي مواليد (١٧٨١-١٨٥٥) وفي عهد نابليون تدرج في مناصب حتى اصبح وزيرا للعدل عام ١٨١٣، ووزيرا للبحرية (١٨١٧-١٨١٨)، ثم اصبح معارضا للنظام، وبعد ثورة تموز ١٨٣٠ وفي عهد لويس فيليب، تولى رئاسة الوزارة ووزارة الشؤون الخارجية (١٨٣٦-١٨٣٩) وفي عهده تعززت السيطرة الفرنسية على الجزائر، وحققت حلا مقتنعا لمسألة بلجيكا. تعرضت حكومته الى هجوم من لدن الناطق باسم الملك مما دفعه إلى الاستقالة عن منصبه عام ١٨٣٩(رغم انه استمر في الخدمة في مجلس النواب)، وعندما نسبت ثورة ١٨٤٨، فان لويس فيليب، وللمرة الثانية، طلب منه تشكيل الحكومة (٢٣ شباط)، اصبح نائبا من الجناح اليميني في المجلس التشريعي ١٨٤٨-١٨٥١، ولكنه وفي اعقاب انقلاب ٢ كانون الاول ١٨٥١ ترك الشؤون العامة. The New Encyclopedia Britannica, Vol.8, P.231.

(31) William Spence Robertson, French Intervenion in Mexico, P.223.

(32) Ibid, P.225.

(33) Nancy Nichols barker, The French experience in Mexico 1821-1861, P.59.

(34) I bid.

(٣٥) ريتشارد باكينهام: (١٧٩٧-١٨٦٨)دبلوماسي بريطاني، اصبح المفوض البريطاني في المكسيك في عام ١٨٢٦، وعلى مدى اربع سنوات اشترك في اصعب المفاوضات التي دارت حول تجارة العبيد مع الحكومة

المكسيكية، والتي انتهت بمعاهدة عام ١٨٤١، كان حاضرا في المكسيك عندما دارت حرب المعجنات بين المكسيك وفرنسا، وفي شباط ١٨٣٩ ارسل إلى فيراكوز بهدف التوسط بين الطرفين المتحاربين (المكسيك وفرنسا).

British Encyclopedia Online.

(٣٦) زاكاتيكاس: مقاطعة تقع شمال المكسيك.

The new Encyclopedia Britannica , Vol.12, P.533.

(37) Nancy Nichols Barker, The French Experience in Mexico, 1821-1861, P.61.

(٣٨) للتفاصيل راجع:.Ibid. P.66

(39) Ibid. P.58.

(40) Quoted in: nancy N. Barker, The factor of "Race" in the French Experience in Mexico, 1821-1861, The Hispanic American Historical review, Vol.59, No.1, 1979, P.64.

(41) Ibid, P.67.

(42) Quoted in: Ibid,, P.67.

(43) Quoted in: Nancy Nichols Barker, The factor of "Race in the French Experience in Mexico, 1821-1861, P.69.

(44) Ibid.

(45)Quoted in: Nancy N. Barker, The French colony in Mexico, 1821-61, P.606.

(46) Ibid

(47)Nancy Nichols Barker, The French Experience in Mexico, 1821-1861, P.61.

(٤٨) سان خوان دي اولوا : مجموعة معقدة من القلاع والسجون تضم قصرا في جزيرة تطل على الميناء المكسيكي فيراكوز في شمال شرق المكسيك. اصبحت سان خوان دي اولوا رمزاً عسكرياً وسياسياً للمقاومة المكسيكية للغزو والاحتلال الاجنبي.

Britannica Encyclopedia Online.

(٤٩) ماتاموروس: تقع في شمال شرق المكسيك في ولاية تاموليباس (Tamaulipas) على حدود تكساس ولهذه المدينة اهمية تاريخية لأنها شهدت عدة معارك منها: الحرب المكسيكية للاستقلال، الثورة المكسيكية، ثورة تكساس، الحرب المكسيكية الامريكية، التدخل الفرنسي..I bid

(50) William spence Robertson, French Intervention in Mexico in 1838, P.224.

(51) Ibid, P.225.

(52) Nancy Nichols Barker, The French Experience in Mexico, 1821-1861, P.64.

(53) I bid, P.65.

(54) Sir Nicolos Cheetham, Mexico , a short history, Crowell-1970, P.152.

(٥٥) روماسيل: سياسي وضابط فرنسي ن اصبح وزيرا للبحرية الفرنسية عام ١٨٣٦، وقام بإرسال قوات فرنسية إلى كوبا لحماية الممتلكات الفرنسية في كوبا والمكسيك عام ١٨٣٧.

Britannica Encyclopedia Online.

(٥٦) جارلس لويس جوزيف بازوج: (١٧٨٤-١٨٥٣)، قائد الحملة الفرنسية على المكسيك على المكسيك قاد في أواخر عام ١٨٣٧ سربا من السفن تضم السفينة الحربية المسمى ايرميني (Herminie) ذات (٦٠) مدفعاً و(٣) بارجات، مما ساعده في فرض حصار على ميناء فيراكوز ، لاسيما وان الجانب المقابل- المكسيك لم تكن تمتلك اية سفن حربية لمواجهة القوة الفرنسية..Ibid

(57)Benjamin Homans : Army and Navy Chronicle (B. hamans-1938), P.301.

(58) William spence Robertson, French Intervention in Mexico in 1838,P.226-227.
(59) Ibid, P.227.

(٦٠) وهو الحزب المعارض لسياسة الحكومة.
(٦١) ميناء فرنسي غرب فرنسا.

(62)Nancy Nichols Barker, The French Experience in Mexico, 1821-1861, P.72-73.
(63) Ibid, P.74.
(64) Ibid, P.74.
(65) http://en.Wikipedia.org/wiki/pastryWar,P.2.

(٦٦) جونفيل فرانسوا فيردناند فيليب لويس ماريك امير دورليانز (dorleans)(١٨١٨-١٩٠٠) ضابط بحري ، وكاتب مواضيع عسكرية، برز في تحديث البحرية الفرنسية. كان الابن الثالث للويس فيليب دوق اورليانز، الذي اصبح ملكا لفرنسا (١٨٣٠-١٨٤٨) التحق جونفيل بالبحرية عام ١٨٣١، وأصبح ضابطا برتبة ملازم عام ١٨٣٦، وتم ارساله إلى فيراكوز (المكسيك) عام ١٨٣٨، وقاتل قتالا جيدا، وتمت ترقيته إلى رتبة نقيب عام ١٨٣٩. وفي عام ١٨٤٠ قام بارجاع رفات نابليون إلى فرنسا. بعدها تم ترشيحه لمنصب نائب القائد العام للبحرية الفرنسية عام ١٨٤٤، واشار إلى تفوق القوة البحرية الانكليزية على القوة البحرية الفرنسية، ولعلاج هذه الحالة فانه حث الحكومة الفرنسية للحصول على سفن بخارية جديدة. وكان الراعي الكبير للاختراعات الجديدة، لذا دعم دي لوم (Lome) مهندس السفن البخارية، وفي عام ١٨٤٨ ذهب إلى انكلترا، وبعدها إلى الولايات المتحدة الامريكية في ١٨٦١ ليعرض خدماته على الرئيس الامريكي ابراهام لنكولن . عاد إلى فرنسا عام ١٨٧٠، ولكن تم طرده من البحرية ونفيه من فرنسا. وبعد إلغاء قانون نفي عائلة اوليانز إلى خارج فرنسا (بعد سقوط الملك فيليب لويس) تم انتخاب جونفيل كنائب يمثل منطقة ادون مارن عام ١٨٧١. ترك الحياة العامة ١٨٧٥ وتقاعد .

The New Encyclopedia Britannica, Vol.9, P.600.

(67) Spencir C. Tucker: The Encyclopedia of the Mexico- American War, A Political-social and Military History, Vol.1(ABC-Clio-2012), P.495.

(68)Nancy Nichols Barker, The French Experience in Mexico, 1821-1861, P.76.

(٦٩)انطونيو لوبيزدي سانتا آنا:ولد في المكسيك ضابط جيش ورجل سياسة كان والده موظف صغير، وخدم انطونيو في الجيش الإسباني وتمت ترقيته إلى رتبة نقيب . قاتل على كلا جبهتي كل قضية تقريبا، حصل على مكانة مرموقة عام ١٨٢٩ عندما قاتل بالضد من المحاولة الاسبانية لاعادة احتلال المكسيك، واصبح يعرف بلقب بطل تامبيكو، وهذا المجد ساعده في الحصول على منصب رئاسة المكسيك عام ١٨٣٣، واصبح رئيس فدرالي (اتحاديا) وعدو للكنيسة الكاثوليكية الرومانية. أنشا دولة مركزية و استمر في السلطة حتى عام ١٨٣٦ عندما سار إلى تكساس لاخماد التحرر الذي قام به المستوطنون الامريكيون. ورغم انتصاره في عدة مواقع، إلا أنه تعرض إلى هزيمة ودفع في الأسر، وارسل إلى واشنطن لمقابلة الرئيس الامريكي جاكسون jackson، الذي اعاده إلى المكسيك حيث اضطر إلى التقاعد . وفي ازمة حرب المعجنات عام ١٨٣٨، عندما استولت البحرية الفرنسية على ميناء فيراكروز المكسكي، فان سانتا آنا قاد قوات فيراكوز واطلق النار على السفن الفرنسية التي غادرت ، وخلال المناوشات مع السفن الفرنسية المغادرة فقد احد ساقيه، مما جعله يكتسب مكانة مرموقة جعلته يتصرف كديكتاتور من آذار إلى تموز ١٨٣٩، فيما كان الرئيس المكسيكي غائباً. وبعد مرور سنتين قاد انقلاب واستولى على السلطة، واستمر فيها حتى تم طرده من منصبه عام ١٨٤٥، سافر إلى نيوكراندا (New Granada) عام ١٨٥٣ وبعد عشر سنوات سعى للحصول على الدعم الامريكي في محاولة لطرد الامبراطور مكسمليان من المكسيك الذي وضعه الفرنسيون على عرش المكسيك، وفي الوقت نفسه عرض خدماته على مكسمليان، ولقد رفض الامريكيون عرضه كما رفضه الامبراطور. وقبيل وفاته بسنتين سمح له بالعودة إلى بلاده التي توفي فيها فقيرا واعمى. The New Encyclopedia Britannica, Vol.10, P.423.

وللتفاصيل عن سانتا آنا راجع:

Michel C. Meyer, William H. Beezley, The Oxfofd history of Mexico, Oxford University Press New York, 2000, P.354

(٧٠) ماريانو اريستا: محارب مكسيكي بارز وقديم، شارك في الكثير من حروب القرن التاسع عشر في المكسيك، واصبح رئيسا لها في غضون (١٨٥١-١٨٥٣).

British Encyclopedia on line.

(71) Nancy Nichols Barker, The French Experience in Mexico, 1821-1861, P.80.

(72) John Lynch caudilos in Spanish America 1800-1850, Oxford, 1992, P,165; Stanley sandler, Ground Warfare, Vol,1 (AGC, CLIO-2012), P,873.

(73) Will fowler , Santa Anna of mexico, P,186.

(74) William L, Sherman, Op,cit, P,313.

(75) Micheal P. costeloe: The Central Repubublici in Mexico 1835-1848 (cambirdge Unversity-Press-2008), P.147.

(76) John Lynch, op.cit,P.166.

(77) Ruth Tenzer Feldman, The Mexican- American war(Twenty First Century books-2004), P.11.

(78) Will Fowler, Op.cit, P.165.

(79) Britannica online Encyclopedia.

(80) Burton Kirkwood, The History of mexico, Publisher: greenwood press, Westport, CT.2000, P.97.

(٨١) تم التعامل مع ساق سانتا آنا كتعبير مجازي لعمله، فعندما تعززت شعبيته بعد انتصاره، اجريت له عام ١٨٤٢ مراسيم مفصلة تضمنت استعراضات وخطابات حضرها دبلوماسيين واعضاء المجلس الوزاري، والتي أعيد فيها دفن ساق سانتا آنا في مدينة مكسيكو. ولكن تغيرت الصورة بعد مرور سنتين، فعندما اصبح موقف سانتا انا سيء مع الحكومة، تم نبش الساق المدفونة، وتم سحبها في شوارع عاصمة المكسيك حتى اتلفت..Ibid

(82) William Spence Robertson French Intervention in Mexico in 1838, P. 243.

(83) Nancy Nichols Barker, The French Experience in Mexico, 1821-1861, P.81.

(٨٤)اللورد هنري جون تمبل بالمرسترون)(Henry John Temple Palmerston) رجل انكليزي ليبرالي من حزب الاحرار، استمر في المناصب السياسية لفترة طويلة وزيرا للخارجية البريطانية (١٨٣٠-١٨٣٤)و (١٨٣٥-١٨٤١)و (١٨٤٦-١٨٥١)، وأصبح رئيسا للوزراء : (١٨٤٤-١٨٥٨)، و(١٨٥٩-١٨٦٥)، مما جعله رمزا للوطنية البريطانية . للتفاصيل راجع:

The new Encyclopedia Britannica, Vol.9, P.94; John Miglichrisl, Lord palmerston abiography, London, 1865.

(٨٥) صراع عسكري بين حكومة المكسيك ومستوطني تكساس. بدا الصراع في ٢ تشرين الاول ١٨٣٥، وقاد إلى إنشاء جمهورية تكساس بعد المعركة النهائية في ٢١ نيسان ١٨٣٦، واستمر القتال بصورة متقطعة بين المكسيك وتكساس حتى اربعينيات القرن التاسع عشر وآلت في النهاية إلى الحرب المكسيكية الامريكية ١٨٤٦-١٨٤٨ بعد ضم تكساس إلى الولايات المتحدة الامريكية.

British Encyclopedia Online.

وللتفاصيل راجع:

Stanley Siegel, A Political history of the Texas Rebublic 1836-1845, New York, 1956.

(86) Nancy Nichols Barker, The French Experience in Mexico, 1821-1861, P.82.

(87) Joel David Signer and Poul francis Dieh, Measuring the correlates of War , Unversity of mechigan press-1990, P.241.
(88) William spence Robertson, French Intervention in Mexico in 1838, P.248.
(89) Spencer Tuckers : The encyclopedia of the Mexican- American War, A political , social and military history (ABC-CLIO-2013), P.495.
(90) Nancy Nichols Barker, The French Experience in Mexico, 1821-1861, P.84.

المصادر

أولاً : الكتب باللغة الانكليزية.

1- *Atkins, G. Pope, Latin America and Caribbean in international system, Boulder Co, 1999.*
2- *Chetham Sir nicholas, Mexico, A Short history, Crowell,1970.*
3- *Costeloe, Micheal P. The central Republic in Mexico 1835 (Cambridge university –press-2002).*
4- *Feldman, Ruth Tenzer, The Mexico- American War, (Twenty first century books-2004).*
5- *Foster , Lynn V. A Brief history of Mexico (Infobase publishing -2007).*
6- *Fowler, Will, Sant Anna of Mexico , Lincoin, Ne, 2007.*
7- *----------, Tomel and sant Anna , The Write and the caudillo, Mexico, 1795-1853, Westport, CT, 2000.*
8- *Hogan, Michal, The Irish soldiers of Mexico (Fondo Editorial Unversitario-1998).*
9- *Hamans, Benjamin , Army and navy Chroncle (13. Homans, 1838).*
10- *Kirkwood, Burton, The history of Mexico, Publisher: Greenwood press Westport, CT-2000.*
11- *Lynch , John, caudilos in spenish America 1800-1850, Oxford d.1992.*
12- *Meyer, Michael C. , and Beezley, William H., The oxford history of Mexico, oxford University , press, New York, 2000.*
13- *M'glichrist, john lord palmerston abiograghy, London, 1865.*
14- *Robertson , William spence, France and latin America Indepence, Baltimore, 1939.*
15- *Sherman, William L., The Coures of Mexico History, New York, 2003.*
16- *Siegel Stanley , Apolital history of the Texas Republic 1836-1845, New York, 1956.*
17- *Stacy , Lee, Mexico and United state (Marshall Cavendish-2002).*
18- *Williams, Herndon, Texas Culf Coast Stories, (The history press-2010).*

ثانياً: البحوث والدراسات الاجنبية المنشورة.

1-Bancroft, Frederic, "The French in Mexico and the Monro Doctrine".
2-Barker, Nancy Nichols , The factor of "Race" in the French experience in Mexico , 1821-1861, The Hispanic American historical review, Vol.59, No.1(Feb, 1979).
3- ----------, The French Colony in Mexico, 1821-61: Generator of Intervention, French historical studies, Vol.9, No.4 (Autmn, 1976).
4- ----------, The French experience in Mexico 1821-1861: A History of Constant Misundersatanding, University of North Carolina press Chapel Hill, NC, 1979.

ثالثاً: الموسوعات الأجنبية.

1- *British Encyclopedia Online.*
2- *The New Encyclopedia Britanica, Chicago, 2003, (Vol.7, 8, 10, 12).*

3- *Tucker, Spencir C, The Encyclopedia of the Mexican American war, A political-Social and Millitary History, Vol.1 (AB-CLIO-2012).*

رابعاً: الانترنت.

1- *http://en.Wikipedia,the free Encyclopedia, pastry war*
2- *http://en.Wikipedia,the free Encyclopedia.org/wiki/battle of Veracruz (1838)*
3- *http://en.Wikipedia,org,/woki/pastry war*

خامساً: الكتب باللغة العربية.

١-يوسف، بيتر، امريكا اللاتينية قارة الجوع والثورة، بغداد، ١٩٧٣.